فن الوصف والفخر في الشعر الزياني "تلمسان أنموذجا"

The art of description and pride in Zayani poetry "Tlemcen as a model"

درار نزيهة[1] حطري سمية[2]

[1] مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث،المركز الجامعي بلحاج بوشعيب عين تموشنت(الجزائر)

imene-13@hotmail.com

[2] مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث، المركز الجامعي بلحاج بوشعيب عين تموشنت(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2019/08/21 تاريخ القبول: 2019/09/25 تاريخ النشر: 2020/01/05



ملخص البحث

يعطي الباحثون و المفكرون مجالا واسعا للبحث في دلالات اللغة، من منطلق إدراكهم لقيمتها في حياة الإنسان و باعتبارها السبيل الأول في عملية التفكير و التواصل، و حرصهم المتواصل على كشف أسرار اللغة طور من الدراسات اللغوية، و جعلها من اهتمام الكثير من التخصصات. يعتبر علم الاجتماع السياسي من بين العلوم التي تركز على اللغة كوعاء حاوي للفكر، حيث يتم من خلالها تمرير الخطابات المتعددة في إطار تعبير لغوي، كما يتم التركيز عليها باعتبارها من أقوى العوامل التي تربط أفراد المجتمع ويعتمد عليها إطارات الطبقة السياسية من أجل إرساء معالم النظام السياسي.

كلمات مفتاحية : اللغة، علم الاجتماع اللغوي، الانتخابات، الحملة الانتخابية.

ABSTRACT:

We can say that researchers and thinkers give a large account to the research in the language references , in the sense that it has a great value in man's life, considering it the first way in the thinking and communicating processes, and their continuous care to invistigate the secrets of language and making it the centre interest of different branches.The political sociology is considered one of the important sciences that depends on the language as a container of thinking , that is to say that thanks by it , We can give different addresses in a form of language expression. And we consontrate on it considering it on of the strongest factors, that join the society members. Politicians also depend on it in their work to apply the political policy. And that appears, for example, in the elections compaigns, in wich they can plan the programms according to the circumstances of the society inorder to relize its aims .

keywords; language, linguistic sociology, Elections, election's compaign.

1. مقدمة:

يرتبط فن الوصف بشعر الطبيعة، فهو يلازم الشاعر العربي أينما حل وارتحل والعامل المؤثر فيه هو البيئة العربية التي كان لها صدى في نبوغ هذا اللون الشعري ولم يخرج عنه فن الفخر لأن البيئة العربية كانت وليدة هذا الفن لأنها مرتبطة دائما بالمخاطر والحروب فكيف وصف الشاعر الزياني مدينته؟ وعلى ماذا دل افتخاره؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية تولد لدينا بعض الفرضيات:

لعل تعلق الشعراء بالمدينة تعبير صادق.

ارتباط الشعراء بالسلطان الزياني كان وليدا عن الحب والوفاء.

---

[1] المؤلف المرسل: درار نزيهة

وقد انتهجت في ذلك منهجا وصفيا تحليليا لما يناسب المدونة الجزائرية فالهدف من ذلك رسم صورة شعرية وصفية فخرية عن مدينة تلمسان.

2. الصور الوصفية:

إنالإنسان العربي يتلون بلون بيئته التي يعيش فيها فينهل من خيراتها وثمارها ويصف كل ما يتعلق فيها سواء أكان إنسان أم حيوان أم نبات.

فإذا ذكرنا مدينة أو مكانا إلا ونذكر معها الوصف فمن النقاد ما يربط الوصف بالمكان فبقول «تصوير للظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلا يصل بك إلى الأعماق»[1]

فينقل لنا صورة حصرية لمشاهد طبيعية مفعمة بالحيوية والأحاسيس الصادقة.

فالشاعر البارع هو الذي يتأثر بتأثر مدينته فتكون مصدرا ومنبعا للتصوير والإبداع فهو بحد ذاته شعرا كما يعتبره الكثير من النقاد«هو عمود الشعر وعماده وكل أغراض الشعر وصف فالمدح وصف محاسن الرجل وفضله والنسيب وصف النساء والحنين إليهن والرثاء وصف محاسن الميت وتصوير آثاره والهجاء وهكذا نستطيع أن ندخل جميع الشعر تحت الوصف»[2]

إذن استقى الشاعر العربي من الطبيعة ظواهر ومناظر سبح فيها ليزخرف لنا صورة طبيعية خيالية معبرة عن حبه وإعجابه ولوعته ببلدته.

تعبر بأسلوب منطقي حسي«هو تجريد لا واع أصم يجري في عقل الذهن الذي يتأثر بالطوارئ والمشاهد الخارجية»[3]

وشعر الوصف الذي وصلنا من شعرائنا الزيانيين حول تلمسان قليل جدا مقارنة بفني المدح والحنين فهذه شهادة الطاهر توات معلقا عن شعر ابن خميس في الوصف:«فشعره في ابوصف لا يتعدى قصيدتين وتصفحنا القصائد الأخرى التي قالها في المدح والفخر أو في جميع الأغراض الأخرى(...) دلنا على أن الشاعر كان بارعا في الوصف»[4] فأغلب صوره كان يأخذها من الطبيعة ليجسدها وكأنها إنسان يحمل بين أطرافه أنباء عن بلدته تلمسان يقول

سَلِ الرّيحَ إنْ لم تسعدْ السُّفُنُ أنواءَ

فعِندَ صِباها منْ تلمسانَ أنباءُ

وإنّي لأَصبُو للصِّبا كلَّما سَرتْ

وللنَّجم مهمَا كانَ للنَّجمِ إسراءُ[5]

فهو يعرب عن الريح ويشتاق لنسيم الصباح أيام الصبا كلما راحت فيشخص لنا الريح في هيئة إنسان يرفع لنا أنباء عن تلمسان.

وفي صورة أخرى تجمع بين الشوك والإبر يمثل لنا حالة فراشه يقول:

وأَسْتجْلِبُ النَّومَ الغرارِ

ومَضْجَعي قتادٌ كما شاءتْ نَواهَا وسُلاّءُ

لعلَّ خيالاً من ليدَها يمرُّ بي

ففِي مرِّه منْ جَوى الشّوقَ إبراءُ[6]

يصف لنا الشاعر حالته وهو بعيد عن بلدته مشبها فراشه بشجرة القتاد الصلبة التي تشبه الإبر.

1.2 صورة الربيع:

يحرض الشاعر أهل تلمسان على القيام والنظر إلى الزهور مستوضحا ذلك المنظر الذي يسر الناظرين مستمتعا بالأجواء مستجمما في فصل الربيع يقول:

قُمْ مُبصِرا زمنَ الرَّبيعِ المقبلِ**

ترَ ما يسُرُّ المُجْتَني والمجتلِي

وانشقَّ نسيمُ الروضِ مطوَّلاً وما **

أهداكَ منْ عرفِ وعرفِ فاقبلِ[7]

ماشيا فيه يشم روائح زكية نابعة من انشقاق نسيم الروض يقول:

وانظرْ إلى زهرِ الريَّاضِ كأنَّه***

درٌّ، على لباتِ رباتِ الحليّ

فِي دولةٍ فاضتْ يَداها بالنَّدَى **

***وقضَتْ بكلِّ منىً لكلِّ مؤملِ**[8]

في استعارة مكنية تقطر من الندى دولة تتعهد لأهلها بالوفاء والخيرات.

ويواصل وصفا وتصويرا لرحلته في ضواحي تلمسان حيث يبرمج زيارات متتالية على مدى ثلاث أيام لأماكن تلمسان البهية يستهلها ب:

2.2 صورة مسجد العباد* وضريحها

يصف لنا الشاعر مسجد العباد وضريحها المدفون فيه مما زاده مكانة وعلوا وود قبر وضريح الولي الاشبيلي البجائي الصالح "أبي مدين شعيب بن الحسين" يقول:

ولِتغدُ للعُبّادِ منها غدوةً **

تُصبحُ همومَ النَّفسِ عنكَ بمعزلِ

وضريحِ تاجُ العارفين شُعَيْبِها**

زُرْهُ هناك فحبَّذا ذاكَ الولِي

فمزاره للدِّين والدُّنيا معًا**

***تُمحى ذُنوبك أو كُروبك تَنجلِي**[9]

فبزيارته تزيل الهموم وتمحى الذنوب وتنجلي وتفك الكروب فهو ولي صالح مجيب الداعي.

3.2صورة باب الجياد

عَرِّجْ بمنعرَجاتِ بابِ جيادِها**

وافتحْ بها بابَ الرَّجاءِ المقفلِ[10]

يعرج الشاعر على باب الجياد* - ذكرناه سالفا- فاتحا باب الرجاء المقفل.

4.2صورة الجناب المخضل:

يأمر الشاعر أهل تلمسان بالوقوف على منتزه الكهف الضحاك سارحا ومستريحا النفس والعين متأملا الجمال الأجمل ماشيا في حباب رياضها جانحا إلى الجناب المخضل يقول

وبِكهْفِها الضَّحَّاكِ قفْ مُتَنَزّها **

تسرحُ نفوسكَ في الجمالِ الأجملِ

وتمشِ في جنباتِها ورياضِها**

واجنحْ إلى ذاك الجنابِ المخضّلِ[11]

يوجد في هذين البيتين صورة خيالية جنح بها الشاعر ليشخص لنا الكهف الضحاك في هيئة إنسان يمتلك جنابين. وهو يستمتع إلى صفير العصافير وأنعام البلابل التي ترقص طربا وشوقا على دوحات البساتين يقول:

تُسَلّيكَ في دوحاتِها وتلاعِها**

نغمُ البلابلِ واطّرادِ الجدولِ[12]

متسللا إلى خلوة ربوة العشاق خلسة على نظرات الجميلات وهو مفتون بجمال وأناقة بنات تلمسان وكأنهم غزلان فاقت وتجاوزت كل واحدة منها الأخرى في الجمال يقول:

وبِربْوةِ العُشَّاقِ سلوةُ عاشقٍ**

فُتِنتُ وألحاظِ الغزالِ الأكحلِ[13]

باعث إليه ابتسامة كعود طيب الرائحة وهي أروع هدية فهو في صورة العاشق الولهان لتملسان وبناتها يقول:

بِنواسمٍ وبواسمٍ منْ زهرِها **

تُهديكَ أنفاسًا كعُرفِ المندلِ[14]

إن المتأمل في هذا النص يظن أن الشاعر يتحدث عن جميلات تلمسان لكنه هنا في صورة رمزية للمنظر الذي رآه وجسد الزهور والورود في صورة الفتاة الحسناء.

فلو رأى امرؤ القيس هذا المنظر لعزف عن القتال واشتغل به ولو حام حولها ماكان قد احتفل بحومة حومل يقول

فلوْ امرؤُ القيس بنُ حجر رَءاها**

قِدَما تسلَّى عن معاهدِ مأسلِ

أو حامَ حولَ فَنائهَاوظبائهَا**

ما كان محتفلاً بحومةِ حوملِ[15]

أما في اليوم الثاني فتكون وجهته:

5.2 صورة وادي الصفصيف:

يعمد في اليوم الموالي إلى وادي الصفصيف للتسلية والتنزه وقضاء العطلة فيه مستمتعا بأزهاره مستعذبا مستملحا بانسياب مائه يقول:

وأعْمدُ إلى الصَّفصيف يومًا ثانيًا**

وبه تسل وعنه دأبًا فاسألِ

واد تراهُ من الأزهرِ خاليًا **

أحسنُ به عطلًا وغير معطلِ ينسابُ كالأيمِ انسيابًا دائمًا**

أو كالحسامِ جلاه كفّ الصيقلِ[16]

في صورة يشبه انسيابه بالحسام في كف الفارس المغوار.

ويخصص اليوم الثالث لوصف:

6.2 عين الفوارة:

وفي اليوم الثالث يقصد الفوارة منهلا من عذوبة مائها المبارك يجري على أصالة اللجين سائله أحلى من الرحيق السلسل يقول:

وأقْصدُ بيومٍ ثالثٍ فوارةً

وبعذبِ منهلهَا المبارك فانهلِ

**تَجري على درّ لُجينا سائلاً **

أحلى وأعذبُ من رحيقِ سلسلِ[17]

ثم يجلس مقابلها مستمتعا بمنظر تلمسان العلية من الشرف يقول:

**وأشرفُ على الشَّرفِ الذي بازائِها **

لتَرى تلمسانَ العليةَ من علِ[18]

في صورة العروس المربعة على عرشها متوجة ببهاء مكلل يسيل بهجة من محاسنها يقول:

**تاجٌ عليهِ من المحاسنِ بهجةً **

أحسنُ بتاجٍ بالبهاءِ مكلَّلِ[19]

أما في المساء (العشية) يميل نحول المصلى ليتبع في ذلك ميلة الشمس يقول:

وإذا العشيَّةُ شَمسُها مالتْ فملْ

نحو المصلَّى ميلةَ المتَمَهّلِ[20]

بعد وقت صلاة العصر:

7.2الملعب

بعد الصلاة يعود شاعرنا ليكمل رحلته وهذه المرة يكون ملعب الخيل الفسيح أين تقام الحفلات ليشرف على سباق يقام كل عشية يقول:

**وبملعِبِ الخيلِ الفسيحِ مجالهُ **

أجلّ النواظرِ في العتاقِ الحفلِ

فلِحلبةِ الأشرافِ كلَّ عشيَّةٍ **لعبٌ بذاك الملعبِ المتسهِّلِ[21]

فمنظره يجل الناظرين.

وهذا يفر وهذا يكر فكلاهما في العنان الأول وكل طرف فيه يسر المتأمل يقول:

**هذا يكرُّ وهذا يفرُّ فينثي **

عطفًا على الثَّاني عنَّانَ الأوَّلِ

**منْ كلِّ طرفٍ كلَّ طرفٍ يسْتَني **

قيدَ النَّواظرِ فتنةَ المتأمّلِ[22]

يتخلل فناءه مختلف أنواع الزهور المتنوعة الألوان ولكل لون معنى خاص به لقوله تعال:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ
الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[23]، يقول:

**ورْدٌ كأنَّ أديمهِ شفقُ الدُّجَى **

أوْ أشهبٌ كشهابِ رجمٍ مرَسَّلِ

أو منْ كميتٍ لا نظيرَ لحسنِهِ

سامٍ معمٍ في السوابقِ مخوَّلِ

أوْ أحمرٌ قاني الأديمِ كعسجدِ

أو أشـقرٌ يزْهو بعرفٍ أشعلِ

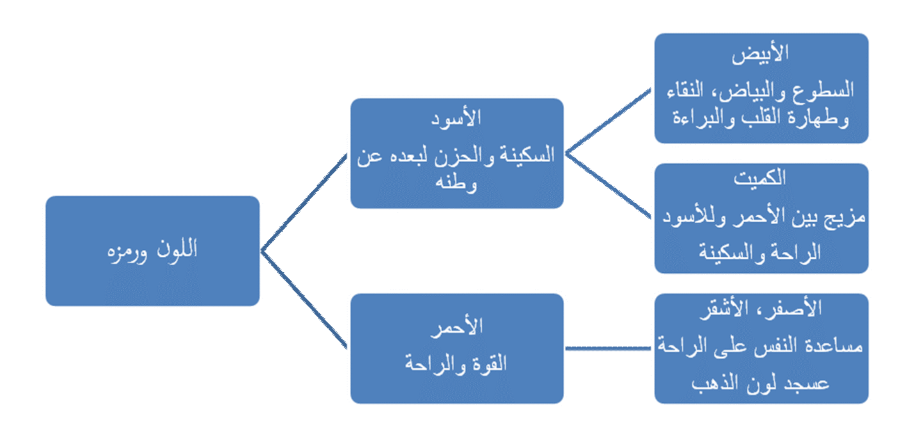
أو أدهمٌ كاللَّيلِ إلاَّ غرَّة **

كالصُّبحِ،بورِكَ منْ أغرَّ محجلِ[24]

ونستنتج أن الألوان لها تأثير قوي على نفسية الإنسان«إن تأثير الألوان في الإنسان بعيد الغور وقد أجريت تجارب متعددة تثبت أن اللون يؤثر في إقدامنا وإحجامنا ويشعر بالحرارة أو البرودة وبالسرور أو الكآبة بل يؤثر في شخصية الرجل وفي نظرته على الحياة»[25]

وهذا ما لحظناه في شاعرنا حيث استدعى الألوان الكثيرة الممزوجة ببعضها البعض المتغيرة من حين إلى حين والتي بدورها ترمز إلى عدة معان فمثلا اللون الأحمر يتغير من الأسود إلى اللون الأحمر الشديد ثم إلى اللون الأبيض الساطع المضيء اللامع دلالة على السكينة والقوة والراحة والصفاء النابع من قلب تلمسان وهذا ما لمسناه في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ﴿ أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ﴾[26]

فألوان الأزهار والورود والثمار التي تحاكي الطبيعة من أجمل ما تكون[27] ويبقى لكل لون ذوق ونوع خاص به:



النتيجة:

ساهمت في إشباع الدلالة وهي سمة رمزية لافتة

يبدو أن شاعرنا يميل إلى اللون الأبيض المخرجه في صورة النجم الساطع وهذا كما قلنا رمز للوفاء والأمان والراحة.

فكل ناحية من ملعب الخيل تجدب الأنظار لها يكفيها فخرا أنها جمعت كل المحاسن فهو منظر راقي يريح العين يستمتع الناظر بخيالته وفرسانه يقول:

جمع المحاسنِ في بديعِ شيَّاتِه **مهمَا ترقُّ العينِ فيه تسهلِ[28]

بعد صلاة المغرب:

يبدو الشاعر وسيط فهو يروج للسياحة في تلمسان في دعوة لزيارة بلدته بدءًا من ملعبها مرورا بباب جيادها مستمتعا بنواديها متأنيا في دخوله إلى قلب المدينة مخصصا أوقات الزيارة بعد أن قام بأداء جميع أوقات الصلاة فلرؤية الأمام وقصره ما عليك إلا زيارته بعد صلاة المغرب كما يقول:

فإذا دَنتْ شمسُ الأصيلِ لغُربِها**

فإلى تلمسانَ الأصيلةِ ادخلِ

من بابِ ملعبِها لبابِ حديدِها**

متنزّها في كلِّ نادٍ أحفلِ

وتأنَّ من بعدِ الدخولِ هنيهةً**

واعدلْ إلى قصرِ الإمامِ الأعدلِ[29]

فسكان تلمسان من أكرم سكان الغرب الجزائري، فلا يغرنا الديار والمباني فسر تلمسان في سكانها لا في منازلها يقول:

فهوَ المؤمَّلُ والديارُ كنايةً **

والسرُّ في السُّكانِ لا في المنزلِ[30]

وبعد الدخول إلى قصر الإمام يختم بتهنئة مولاه بزمن الربيع الأملح يقول:

هنئْ به زمنُ الرَّبيعِ وقلْ له **

بشرى بأملحِ من حلاكِ وأجملِ

وعلى علاهُ من صنيعةِ فضلِهِ **

تردادُ نافحةَ السَّلامِ الأكملِ[31]

فسلام الله عليك يا فضيلة السلطان وصحيح كما يقال وخاتمتها مسك.

3. صور رحلة ابن خميس إلى سبتة المغربية:

تسلل ابن خميس في وقت متأخر من الليل –أثناء الحصار المريني على تلمسان-متوجها نحو مدينة سبتة المغربية بعد وقوعه في ورطة كادت أن تنهي حياته فتحركت فيه نفسه النزعة الإنسانية بعد ما شاهد من مجاعة وفقر فدعا العائلة الملكية إلى ما يرمي من صلاحها[32]

لكن محاولته باءت بالفشل وانقلبت الأمور ضده،فلم يستطع الملك حمايته وفي ذلك يقول :

ولولاَ سخائمَ قومٍ أبوَا   **

إبائِي ركبتُ إليك الرّياحَا

أباحُوا حِماي وكمْ مرَّةً   **

حميتُ حِمى عرضِهِم أن يُباحَا[33]

فكم من مرة دافع عنهم بشعره لكن جزاءه كان الجلا يقول:

ودافعتُ عنهُم بشِعري انتصارًا**

فكانَ الجزاءُ جلائِي المُتاحَا[34]

والمبايعة الرخيسة التي تلقاها الشاعر من بنو زيان فجاء العدو لقتله، وفي ذلك يعبر:

أبعُوا وِدادي بخسًا فسلْ **

أكانَ سماحُهم بي رباحَا

وأغرُّوا بنفْسي طلابَها **

سرارًا فجاءُوا لِقتلِي صراحَا[35]

وحاول الخصوم إغراءه بأنه ليس هو المقصود وحلفوا يمينا على ذلك بأن ما توهم به مجرد مزاح لكن ابن خميس لم يشعر بالأمان اتجاههم فشاور نفسه فرأت له الصواب وقرر الفرار يقول:

وألُوا يمينًا على أن مَا **

توهَّمْتُ لم يكُ إلاَّ مُزاحَا

فشاورْتُ نفسِي في ذا فمَا**

رأتْ لي بغيرِ الفلاةِ الفِلاحَا[36]

فتوجه نحو سبتة في الليل، فبات وحده يناجي نجوم الدجى يجوب الدياجير ن ولا مؤانس له سوى القطط والسراحا وما يسمع سوى صباح الثعالب التي تحس بمروره يقول:

فبِتُّ أُناغي نُجومَ الدُّجى **

نجاءً فلمْ ألقَ إلا نجاحَا

أجوبُ الدَّياجيرَ وحدي ولاَ **

مؤانِسِ إلاَّ القطَّا والسّراحَا

وإلاَّ الثعالبَ تحتسُ في **

مبيتِي فتملأُ سَمعِي ضُباحَا[37]

ويصادف في طريقه قبائل بدو أرادوا أن يقطعوا طريقه، يقول:

وجوابُ بدوٍ إذا استنبحُوا **

أجابُوا عواءَ وأموَا النّباحَا

يروْنَ قِتالي في الحجرِ حلا **

وإذهابِ نفسِي فيه مُباحَا

قصَدتُ سِناهم فلمْ أحطهم **

أعاجمَ شوسُ العيونِ قِباحَا[38]

فيتساءل كيف خلص من أسراهم؟ أسيرا أم سراجا يقول:

فسلْ كيف كَانَ خُلاصِي منْ **

أسراهِم؟أسرَى أمْ سراجَا[39]

وفي الأخير نجا منهم بأعجوبة ثم يواصل سيره ليلتقي بقبيلة أخرى كراما أعاريب شم الأنوف فصيحين مشبه بناتهم بالأبقار في كبر العيون وسوادها يقول:

ولامثلَ بيتَ تيممته ***

فلمْ ألقَ إلاَّ الغنَا والسّماحَا

وإلاَّ أعاريبَ شمَّ الأنوفِ **

كرامُ الجدودِ فصاحَا الفصاحَا

وإلاَّ يعافيرَ سودَ العيونِ ***

يرينَ فسادَ المحبّ صلاحَا

وأبدَى لعينِي بدائعَ ***

لم يدعُ لي عقلاً بها حينَ راحَا[40]

يبدو أن شاعرنا قد وقع في حب إحداهن فسلبت منه عقله وعيته حين راحا.

وفي صورة أخرى يشبه النجوم وهي تغيب كأنها إبل وكأن شاعرنا قد تعب وعان من مشقة السفر الطويل لدرجة مزجه بين الصحراء والسماء في قضية النجوم والإبل وقد عبر عن ذلك بقوله:

كأنّ النجومِ وقد غرُبتْ **

نواهلُ ماءٍ صدرْنَ قماحَا

لواعبٌ باتتْ تجدُ السُّرى **

فأدركَها الصبْحُ روحى طلاحَا[41]

4. الصور الفخرية:

فن الفخر من فنون الشعر العربي تغنى فيه الشاعر فلم يكن مجرد هدفا بل تعدى إلى كونه «وسيلة لرسم صورة عن النفس ليخافها الأعداء قد جعلهم يترددون طويلا قبل التعرض للشاعر أو لقبيلته»[42]

ولم يخرج الفخر في الشعر الجزائري عن الفخر في الشعر العربي لأن البيئة الجزائرية بكل ضواحيها كانت مناسبة لولادة هذا الغرض مثلما هو الحال في المشرق" إنها حافلة دائما بالمخاطر والحروب وبكل مظاهر القوة والعنف والبطولة حيث يتجلى فيها التنازع من أجل البقاء في كل صوره"[43] فالبقاء إذن للأقوى.

ضف عل ذلك الأنفة الفطرية الموجودة في الجزائري فالمتأمل للشعر الزياني يلاحظ عدة صور لهذا الفن الدخيل على الشعر الجزائري متجلية في قيم انسانية جمالية مختلفة.

1.4الفخر بالقوة:

وضمر عناجيحٌ على صَهواتِنا**

كرامٌ سماحٌ بالنفورِ الكرائمِ

نطاردُ فيها الخيلَ بالخيلِ مثلهَا **

كانَ على الأعداءِ كرَّ الهزائمِ

حملنَا عليهم حملةً مُضريةً ***

فولُّوا شِرادًا مثلَ جفلِ النَّعائمِ[44]

فهذه الأبيات تحمل في طياتها صورة إنسانية تعبر عن فخر الشاعر بشجاعة وقوة فرسانه وهم يخوضون حملة ضد سويد من أنصار بني مرين.

2.4الافتخار بالقوم:

يربط أبي حمو الحماسة بالفخر فنراه ينظم شعرا يفتخر فيه بالاعتزاز بتلمسان والتحدي للعدو يقول:

تخوضُ بحرًا ولا تخشَّى عواقبَه **

وليسَ تَسلك لجَّ البحرِ بالنجّيبِ

عائداتٌ ويحكَ من أعطاءِ خالقهِ **

ومَنْ سمَا ذكرهُ في العلمِ والكتبِ

مَن رامَ إدراكنا رامَ المحالَ ولا

****ينجُو من السَّيفِ من قد لجَّ في الهربِ**[45]

في هذه الفترة حققت الدولة الزيانية انتصارا عظيما بفوزها على الدولة المرينية وهذا بفضل أبو حمو ورعيته فنجده فخورا برجاله وبطولاته.

ضف إلى ذلك تعلقه بالدين فنجد ربطا بين الدين والفخر والحماسة في هذا القول:

ومَنْ يعارضُ بأمرِ اللّه مُعترِضا

****يخسرُويصبحُ على بحرٍ مِن التَّعَبِ**[46]

فلله درك يا أبا حمو موسى وهنيئا لك هذا الفوز العظيم.

3.4الافتخار بالنفس:

يعود الشاعر ويفتخر بنفسه قائلا:

أنا الملكُ الزاّبي ولستُ بِزابِي **

ولكنَّني مُفني الطُّغاةَ الأعاظمِ

فَقُمنا بأمرِ اللهِ في نصرِ دنينِه

****وفي كفِّ ما قدْ أحدثوا منْ مظالمِ**[47]

حب الذات واضحة في شعره فهو ملك زابي أسقط عدة ملوك عظماء فبفضل الله ثم فضل جيشه حققوا انتصارات كبرى على المظالم.

فالدولة الزيانية لأبي حمو موسى فقد أحياها والده ويواصل هو بعده، يقول:

أحْياها بي، وبأعْرابي**

وأنا الزَّابي، والدَّولةُ لِي[48]

فهو موسى وأبو حمو قائدا شجاعا صالحا لخلافة والده يقول:

وأنا مُوسى وأبُو حمُّو**

أصْلُحُ لِلملكِ ويصلحُ لِي[49]

ويقوده الفخر لتشبيه نفسه بعنترة بن شداد العبسي، في الحرب يقول:

وأنا للحربِ كعَنْترِتها

**وأنا في السِّلمِ أخو جدَلِ[50]

ثم يلتفت إلى الدولة الزيانية قائلا بالفخر الصريح:

الحبُّ منْ شَيْمتِي والوجدُ معزِفتِي

****والصبرُ نافلتِي يا آلَ زيَّانِ**[51]

فهو يفتخر بحبه ووجده وشيمته وصبره لكونه من الزيانيين .

فقد دخل تلمسان وخلصها من قبضة العدو وطهرها من دنس العدو بعد حرب عوان، يقول:

دَخَلتُ تلمسانَ الّتي كنتُ أرْتَجي**

كما ذُكرت في الجفْرِ أهل الملاحمِ

فخلَّصْتُ من غصّابِها دارَ مُلكِنا**

وطَهَّرتها منْ كلّ باغٍ وجارمِ[52]

ويبدو أن قصة دخوله لتلمسان كتبت في كتب الملاحم وهو فخور بذياع صيته.

4.4الاعتزاز بالكرم:

نرى شاعرنا يفتخر بكرمه على الزيانيين بجعل الصحراء من دياره وساحات الوغى نيرانًا يقول:

وقدْ ألفت منَ الهَيْجاءِ عاطلةٍ

****تشُب يومَ الوغَى والحَرب نيرانَا**

وقَد سَقيْتُ كؤوسَ الموتِ صافيةٍ

****وقدْ حميتُ بحدّ السَّيفِ أوْطاني**[53]

يبدو أن الشاعر يشيد في هذا البيتين بحب ذاته ورسوخ دولته.

فهو حامي المظلوم وناصره هو يمشي على حق وإن كان على عجلة من أمره:

أَحْمِي المظلوم وأنصره**

وأقيمُ الحقَّ على عجلِ

والرِّفقُ كذلكَ مِنْ شِيمَتِي**

والعدلُ بهِ أعطَى أملِي

وأنيلُ القاصدَ حاجتِه***

وأنيلُ المالَ بلا مللِ[54]

فهذه أبرز صفات الملك العادل الجديد بالسلطة فتشرفت به تلمسان وأهلها.

5.4الفخر بالوفاء:

يفتخر الشاعر ابن يعلي بوفاء سلطانه لتلمسان وكيف ردها لأهلها وعاد إليها الشرف من جديد فتربعت على عرش الجزائر فتلمسان اليوم فخورة به ولطالما حزنت لفقدانه، يقول:

رَدَّ البلادْ إلى أهْلها فكأنَّها**

طلعتْ دكاء شرفِها المعتادِ

فَخرتْ تلمسانَ بِه ولطالمَا **

لبستْ لفُقْدهم ثيابَ حدادِ[55]

فهو مثير للمدح والرثاء، يقول:

ولا مآثِر إلاَّ وهو لابسَها**

ولا مفاخرَ إلاَّ وهو يَحْوِيها[56]

وهذا دليل على حب الزيانيين لسلطانهم الوفي ذو الفضائل راع رعاياها بعدل وانتظام.

6.4 الافتخار بالسلطان: يقول الشاعر

فَخْرُ الملوكِ الذّي جَلتْ مناقبهُ **

وصارتْ الغايةَ القُصْوى مآثِرُهُ[57]

يتربع السلطان الزياني على كل ملوك الطر الجزائري فهو فخر لهم ومثال يضرب به في الشدائد والمآثر.

فلطالما فرحت تلمسان بفرحهم ولبست ثياب الحزن لحزنهم وفقدانكم يا سلاطين الدولة فخر تلمسان، يقول:

فَخَرتْ تِلمسانَ بِهِ ولَطالمَا**

لبستْ لفُقْدِهِم ثيابَ حدادِ[58]

5.خاتمة:

قصارى القول ارتبط الوصف بالطبيعة فوجود الوصف بوجود الطبيعة والبيئة الزيانية غنية بالظواهر الطبيعية الخلابة المساعدة على تطور هذا الفن فمعظم الأوصاف التي رأيناها كانت صور نقلية عبرت عن كل ما شاهده الشاعر الزياني من مدن ومنتزهات ومباني.

إضافة إلى الصور المادية التي عبر بها الشاعر عن كل ما كان يشعر به وهو في طريقه إلى المنفى، فهي عاطفة إنسانية استقطبت الشاعر فكان يعبر بقلبه لا بعقله.

-عبر الشعراء الزيانيين عن تلمسان فلم يقتصر التعبير عن المكان فقط بل تعداه إلى صور عديدة كما رأينا. فكان البطل فيها مدينة تلمسان ملهمة الشعراء وسلطانها أبو حمو فخر العرب وقاهر الملوك.

6.الهوامش:

[11] - قناوي عبد العظيم علي، 1949،الوصف في الشعر العربي،ج1، مكتبة مصطفى الباني وأولاده، مصر، ط1، ص46

[2] - المصدر نفسه، ص ن

[3] -الحاوي إيليا، 198،فن الوصف وتطوره في الشعر العرب، دار الكتاب البناني،بيروت، ط2، ص7

[44] -توات طاهر،2011، ابن خميس شاعر تلمسان الأكبر، دار الأوطان، الجزائر، ط1، ص(380-381)

[55] - بن منصور عبد الوهاب، المنتخب النفيس من شعر ابن خميس، ص 62

[6] - المصدر نفسه، ص 62

[7] - المقري أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج7، ص126

[8] - المصدر نفسه، ص 126

[*] - يقع مسجد العباد في حي العباد وبجواره قبة ضريح الشيخ أبي مدين شعيب، شرقا بني مسجد العباد بأمر من السلطان المريني أبي الحسن عام 739ه الموافق لعام 1339م، يتألف من قاعة للصلاة مستطيلة الشكل، على غرار المسجد الأعظم بتلمسان، وندرومة تحتوي على عشرين سارية مربعة الشكل وعالية، وفي مؤخرة القاعة غربا ساحة بوسطها نافورة مياه وصهريج للوضوء، وحولها على اليمين واليسار رواقان امتداد لقاعة الصلاة، وفي نهاية الرواقين غربا على اليسار واليمين قاعتان صغيرتان مرتفعتان عن ساحة المسجد للنساء يصعد إليهما بواسطة مراقي. للمزيد ينظر: بوعزيز يحي، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ص 116،117

[9] - المقري أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج7، ص126

[10] - المصدر نفسه،ص 126

*اتخذ باب الجياد موقعا بجنوب المدينة ولكن مع مرور العقود والتغييرات التي حصلت في مخطط المدينة فقد اختفت الأبواب بينما ظهرت أخرى تذكر من بينها باب الجياد الذي بني خلال الفترة الزيانية .

[11] - المقري أحمد، أحمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج7، ص126

[1212] - المصدر نفسه، ص126

[13] - المصدر نفسه، ص ن

[14] - المصدر نفسه، ص ن

[15] - المصدر نفسه، ص126-127

[16] - المصدر نفسه،ص127

[17] - المصدر نفسه، ص ن

[18] - المصدر انفسه، ص 127

[19] - المصدر نفسه، ص ن

[20] - الممصدر نفسه، ص 127

[21] - المصدر نفسه، ص127

[22] - المصدر نفسه، ص ن

[23] -سورة فاطر الأية 35

[24] - المصدر نفسه، ص127

[25] -شافع سعيد إيمان، دراسة عن الألوان، مكتبة كتب تقنية، المقدمة
[26] - الترمذي،محمد بن عيسى ، سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، باب 2591
[27] - شافع سعيد إيمان،دراسة عن الألوان، المقدمة
[28] -المقري أحمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج7، ص127
[29] - المصدر نفسه، ص128
[30] -المصدر نفسه، ص ن
[31] - المصدر نفسه، ص ن
[32] -ينظر: التوات طاهر، ابن خميس شاعر تلمسان الأكبر، ص 124-125
[33] - بن منصور عبد الوهاب، المنتخب النفيس من شعر ابن خميس، ص 90
[34] - المصدر نفسه، ص 90
[35] - المصدر نفسه، ص 90-91
[36] - المصدر نفسه، ص 91
[37] - المصدر نفسه، ص ن
[38] - المصدر نفسه، ص 91
[39] - المصدر نفسه، ص89
[40] - المصدر نفسه، ص 92
[41] - المصدر نفسه، ص89
[4242] - سراج الدين محمد، الفخر في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ، ص 5
[43] -المصدر نفسه، ص 6
[44] - حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني "حياته وآثاره، ص 211
[45] - المرجع نفسه، ص 213
[46] - المرجع نفسه ، ص 213
[47] -المرجع نفسه، ص 212
[48] - المرجع نفسه، ص310
[49] - المرجع نفسه ، ص 311
[50] - المرجع نفسه، ص311
[51] - المرجع نفسه، ص 215
[52] - المرجع نفسه،307
[53] - المرجع نفسه، ص215
[54] - المرجع نفسه، ص 310
[55] - مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان" السفر الثاني 760هـ-764هـ1359-1363م، ص294
[56] - المصدر نفسه، ص 278
[57] - المصدر نفسه ، ص 319
[58] - المصدر نفسه ،ص 295